

بحوث قرآنية في التوحيد والشرك

(27) نفسه يعتبر الملائكة كَتَدَبَّةِ الأَعْمَالِ ويقول: (بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ) . (1) وبذلك تقف على معنى التوحيد في التدبير والتأثير، وليس معناه خلوه كل موجود من التأثير وان آثار الأسباب تفيض من الله سبحانه بلا واسطة، بل معناه أن الآثار والمسببات، للأسباب نفسها، فالشمس مضيئة، والقمر منير والنار محرقة حقيقة، ولكن بجعل منه سبحانه، فالجميع من مظاهر أمره وإرادته. ومن زعم أن معنى التوحيد في الربوبية هو نفي الآثار عن الأسباب فقد نازع وجدانه، كما نازع الوحي المبين حيث إنّه يثبت الأثر الطبيعي لكل سبب وفي الوقت نفسه يربطهما بالله سبحانه، قال: (لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ جَعَلَ لَكُمُ الْآرَاضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۚ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) . (2) تجد أن الوحي اعترف بسببية الماء لخروج الثمرات الطيبة وليست هذه الآية وحيدة في هذا الباب، بل في القرآن الكريم نماذج من هذا النوع، قال سبحانه: (وَفِي الْآرَاضِ مَرْقَطًا ۚ مُتَجَاوِرَاتُ وُجُنُودٍ مِّنَ الْأَعْنَابِ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ مُّسْنُونٌ ۚ وَالْغَيْرُ مُنْدَوَانٌ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ ۚ وَنُفُوسٌ لِّلْأَعْمَاقِ ۚ هِيَ عَلَىٰ بَعْضِ فِي الْأَكْثَلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) . (3) _____ 1 - الزخرف|80. 2 - البقرة|22. 3 - الرعد|4.